أصدقاء فلسطين

أرى شَعْبَ لغةٍ عريقة باركتْه الكرامة والنعمة

العار اسماً آخر للتاريخ

طفل فلسطيني يقف فوق أنقاض منزله الذي دمّره العدوان، رفح، 22 أيار/ مايو 2024 (Getty)

كوس كوستماير

لاجئون

أداروا ظُهورهم للزمن
حملوا حياتهم في أكياس
وانطلقوا بعيداً
كانوا شعبَ التراب، تنغمنا بثمار أرض
كدحوا كي يُنبتوا بُذورهم فيها ليُغذّوا
أطفالهم جيّداً.
حين رحلوا
وضعوا قبضةَ تراب في جيوبهم.
تركوا خلفهم أرضاً عشقوها
تذكّروا آنيةً فخّاريةً
أراضيَ كُنستْ جيّداً
أيامَ عمل في ضوء الشّمس
أبواباً صنعوها من خَشَبِ صلبٍ
رائحةَ اللوز في الريح
صوتَ إطلاق النّار في الليل
نوافذ حطّمتها قنابل يدوية.
عرفوا طُرق الجنود
ذكريات الأحذية المُوحلة
طعْمَ الجلد على أسنانهم،
أطفالاً ماتوا دون أن يعلموا أبداً
أجساداً اشتعلت في مُهودها
ودُفنت في قبور مُرتجلة.
كانوا اللاّجئين والمحرومين والمذمومين،
أمّهات الضائعين والراحلين،
آباء الذين بُترت أعضاؤهم
ضحايا حرب أخرى
إبادة جماعية أخرى مجنونة.
كانوا ملوك السنغال
يهود ألمانيا وبولونيا
كانوا أبناء توام وبنات النكبة
القبائل التي أُبيدت في ووندید ني.
كانوا من اختُفوا وضُلّلوا،
غواتيماليّين هاربين
الآف الموتى في بابي يار
وعرباً رُموا جانباً وطُردوا من فلسطين
التي وُلدوا فيها وحيث قال المسيح:
«طوبى للرحماء، لأنهم يرحمون».
لكن ما من أحدٍ يرحم اللاّجئين هُنا على الأرض.
قُذفوا خارج التاريخ
أُجبروا على الرحيل وهربوا
من نبوخذ نصر ونتنياهو، من الرئيس الأميركي الثالث والأربعين وبن غفير
من هيملر، وهنري كيسنجر وعيدي أمين.
قتلةٌ كلّ من لا يصدّون الوحش،
قتلةٌ كلّ من أفلتوا الجنون من عقاله على سانيتاغو
وفورت بيلنو وإل موزونتي وشاتيلا
وساند هيل.
ماذا بوسعنا أن نقول أكثر؟
فالقائمة تطول
نشعر حيالها بالعار
تدين الجشع القاتل وسفك الدّماء
تكشف ذبح الأبرياء
تورّط بايدن السيّئ
إرهابيّين من الأنواع كلّها.
هناك أبناءٌ وبنات تحت المطر
يحملون جرحي على ظُهورهم
خارجين من مُدن تحترق،
من الأنقاض الدموية لوارسو ودريسدن
ونانكينغ وغزّة.
إنّهم اللاّجئون والمذمومون والمحرومون
لا تكترثوا بيأسهم
فما من شيءٍ ينقصهم هُناك
سوى الطعام والماء والدّواء والمأوى
سوى حيواتهم المسروقة،
وخرافهم المذبوحة
سوى جُبنتهم وخبزهم وتينهم
سوى حدائقهم الجميلة
وأمواتهم الذين لا يُحصى لهُم عدد.

■■■

قبل النكبة

لم تكن الأرضُ خاليةً
ولا الصحراءُ قاحلةً
أزهرت فيها أشجارُ ليمونٍ ونخيل.
كان الهواء نقيّاً وله طَعْم البحر.
لم تكن هناك وفرةٌ في النقود
لكن كان ثمّة عدس في الإناء
وبرتقالٌ حلو المَذاق،
وعسلٌ للخبز
ماءٌ للشرب وطعامٌ للأكل
ولم يكن هناك جيش إسرائيلي
يقتل الناس في كلّ مكان.
لم تكن هناك جثثٌ في الشوارع
ولا بشرٌ غير مرئيّين
كانوا ما يزالون أحياء
عاشوا حياتهم وزرعوا أرضهم
ارتدتِ الريحُ وجوههم
وكان للطفل أثره على جلودهم.
وُلدت عظامهم من الشمس والملح
اشتغلوا في الحرّ
ارتاحوا في الظلّ
اجتمعوا عند البئر
رقصوا حول النار
عاشوا إلى أن ماتوا
نهضوا في الفجر وظلّوا أحياء.
كانت الشمس تحكم أيّام القيظ
والأرض تغنّي
حين يثمر شجر الزيتون بقدوم الربيع.
لم تكن الحياة عادلة دوماً
والجمال لا يكفّ عن الهرب.
كانت هناك أسبابٌ للمعاناة
وأخرى للأمل.
كان البدين يسير مع النحيف جنباً إلى جنب
والمرء ينضح عرقاً من العمل
وللحياة إيقاعها.
كانت المنازل تضجّ بالضحكات
وللحُزن موسيقاه
وفي الأرض حرّية.
كان للناس صوتٌ
ولم يكن هناك جيش إسرائيلي
يقتل الناس في كلّ مكان.
لم يكن الأطفال أهدافاً
احتلوا موقعهم الصحيح في الزمن
ولم يكن هناك جيش إسرائيلي
يقتل الناس في كلّ مكان.
وُلد الأطفال في العالم وعاشوا
ذهبوا إلى مدارسهم وظلّوا أحياء
لعبوا في الخارج وظلّوا أحياء
ناموا في الليل وظلّوا أحياء

> يحسبُ الوقتَ بنجومٍ بعيدةٍ كالفردوس، قريبةٍ كفلسطين
>
> من الأنقاض الدموية لوارسو ودريسدن ونانكينغ وغزّة

لم تكن الصحراء بُوراً
كانت الأرض خصبة وصلبة.
كان ثمّة أسبابٌ للفرح
ومناظر حريٌّ بأن تُرى.
كانت هناك مُتعة ملموسة
وهدايا تُهدى.
وكان من الممكن للناس أن يعيشوا
ومن السهل أن يحبّوا.
كانت هناك أسباب للإيمان.
لم يكن هناك جيش إسرائيلي
يقتل الناس في كلّ مكان.
قبل النكبة
كانت الشوارع آمنةً تضجّ بالحياة.
لم يكن هناك دخانٌ يحجب الشمس
والأيام مكرّسة للعمل واللعب.
وكان القمر يزور بلداتهم ليلاً
يحسبُ الوقتَ بنجومٍ بعيدةٍ كالفردوس
قريبةٍ كفلسطين
حين كانت فلسطين لهم
ولم يكن القتل يحدث في كلّ مكان.

(ترجمة عن الإنكليزية: أسامة إسبر)

بطاقة

KOS KOSTMAYER روائي ومسرحي وشاعر اميركي مُقيم في نيويورك. صدر له عدد من الروايات، منْ بينها: «فارغو بيرتز»، التي تُرجمت الى العربية وصدرت عن «دار خطوط وظلال» عام 2022. تصدر له قريبا رواية بعنوان «سياسة الأماكن» ومجموعة شعرية بعنوان «فلسطين»، اخترنا منها القصائد المنشورة هنا، وهي تستلهم الفاجعة الفلسطينية في غزّة وتدين حرب الابادة الصهيونية المستمرّة ضدّ الشعب الفلسطيني.

معرض

إطلالة على جُرح فلسطين من «غرفة» وديع خالد

لوحة المخيَّم والنكبة المستمرّة

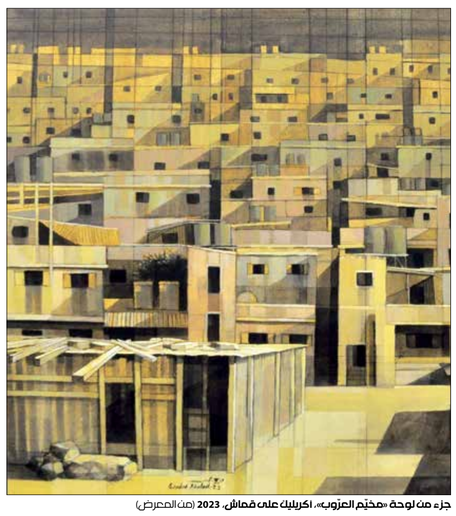
جزء من لوحة «مخيّم العرّوب»، اكريليك على قماش، 2023 (من المعرض)

> يستحضر التشكيلي الفلسطيني، في معرضه المُقام حاليّاً بـ«غاليري باب الدير» في رام الله، العلاقة بين نكبة 1948 والإبادة القائمة في غزّة

رام الله ـ **العربي الجديد**

هل يُمكن الحديث عن تيّار في التشكيل الفلسطيني بدأت تظهر بعض ملامحه بعد السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023؟ سؤال يتردّد اليوم مع كلّ معرض أو لوحة جديدة تستحضر واقع الشعب الفلسطيني وصموده في وجه آلة القتل الصهيونية المُسلّطة عليه. ضمن هذا الإطار، يمكن قراءة معرض «من غُرفتنا في المخيّم» للتشكيلي الفلسطيني الشابّ وديع خالد (1986)، والذي افتُتح أمس السبت في «غاليري باب الدير» برام الله، ويتواصل حتى الثلاثين من تموز/ يوليو المقبل. التقت «العربي الجديد» خالد الذي تحدّث عن الهاجس الذي يشغله كتشكيلي فلسطيني في ظلّ ما يجري من عُدوان إبادة على غزّة، مُوضّحاً: «منذ نكبة 1948 وهناك همٌّ عامّ في حياتنا كفلسطينيّين، لا هواجس شخصية، وإحساس ظلّ يرتفع ويهبط وفقاً للأحداث اليومية التي نعيشها، عند حدوث مشهد نصر ما، ولو بسيطاً، حين الإفراج عن أسير مثلاً، أو كان تدخُّل القدس زائراً مُتعبّداً، أمّا بعد العُدوان الإبادي فأصبح كلّ ما سبق جزءاً من لاوعينا، ظاهراً ومُسيطراً علينا جميعاً. فمنذ بداية العُدوان تلاشى الأمان والاستقرار على جميع الأصعدة».

ويستطرد التشكيلي الفلسطيني في الحديث حول الفكرة القائمة وراء «من غُرفتنا في المخيّم» وكيف تشكّلت، حيث يقول لـ«العربي الجديد»: «ما وراء المعرض تاريخٌ أكثر منه قصّة، وعودة إلى إرث فلسطيني يمتدّ من زمن الكنعانيّين وصولاً إلى التاريخ القريب. وفي كلّ هذا بقيت هناك عناصر ثابتة على المستوى الشعبي: كاجتماع العائلة، ومفهوم الحبّ المُستعاد والمتمثّل بالأساطير، وهذا ما شعرتُ به حينما بدأتُ العمل على أوّل لوحة وكانت بعنوان «استراحة مُحارب»، واسترجعتُ فيها ذاكرة حرب الخليج عام 1991». ويرى خالد أنّ «العُدوان على غزّة أعاد الصورة الأولى للنكبة، وقد تفت ترجمة هذا بصريّاً حيث باتت تسُود صورة واحدة، في الإعلام كما في الفنون، وهي صورة الدمار

> استعادة لرمزيّة المخيّم وائتلاف العائلة وآلام المسيح الفلسطيني

والخراب والدماء. لكن وراء هذه الصورة تكمُن قوّة حقّ وانتماء. وهذا ما اشتغل على إظهاره في المعرض، حيث قوّة العائلة والتمسُّك بالأرض والحقّ الساطع كالشمس».

المُتأمّل في أعمال وديع خالد يرى تجلّيات واضحة لرموز التراث والثقافة الفلسطينيّة، مع ذلك لا يُحبّذ التشكيلي وصف أعماله بأنها تنتمي إلى تيّار جديد، بل محاولة لإظهار سمة جديدة: «ما أراه أقرب لنظري وقلبي هو الصبغة الفلسطينية. أي أنّ كلّ عمل حقيقي أصيل تظهر فيه ملامح تلك الصبغة بشكل أو شعوري، وهذا ما يراه المُشاهد في أعمالي. يُمكنني القول إنّني ما زلتُ أحاول بتلك الخطوط التي تبدأ وتنتهي بها أعمالي إظهار وإضافة سمة جديدة».

يلتقط وديع خالد في معرض «من غرفتنا في المخيّم» تفاصيل جماليّة لا تبرح إطار البساطة، مثل حضور آلة العود، وتجمُّع الأسرة، والعودة الدائمة إلى المسيح الفلسطيني الذي يحتضن صليبه، رموزٌ يُفضّل أن يقرأها صاحبها من خلال مقولة «النكبة المستمرّة»، مُذكّراً بالمُحترفات وصالات العرض التي تعرّضت للتدمير في غزّة، وباستشهاد عشرات الفنّانين التشكيليّين: «مع ذلك ما زال هناك الكثير منهم صامدين في القطاع، ومنهم، كما من أهل غزّة عموماً، تستمدّ الصبر والجَلد والقوّة». ويختم خالد حديثه إلى «العربي الجديد» بأنّ الإبادة فرضت تحدّيات جمّة على مُمارسي الفنون الفلسطينيّين، لكنها ليست جديدة بل نابعة من الشرط الاحتلالي القائم: «التحدّيات لم تنقطع حتى قبل العُدوان. بالعكس، حينها كانت هناك مجموعة أفكار ملوّثة يتمّ تمريرها عبر الفنون وتحت ذريعة الانفتاح على العالم الخارجي. ومن بين ذلك، مُحاولة وضْع الفنّان الفلسطيني في محلّ مُقارنة مع فنّاني العالم من دون الأخْذ بعين الاعتبار خصوصيّته، وخصوصيّة حضارة وتاريخ أرض ونكبة وقضيّة شعب».

بطاقة

تشكيليّ فلسطينيّ من مواليد مُخيّم العرّوب شمال مدينة الخليل عام 1986. ينتمي لعائلة هُجّرت عام 1948 من قرية عراق المنشيّة، التي تقع على بُعد 32 كم شمالي غزّة. على جُدران المُخيّم وقع تدريباتِه الأولى على التشكيل والرسم وهو في عُمر الثالثة عشر، قبل أن يُعتقل وهو فتى إبّان انتفاضة الحجارة عام 2000 ومرّة أخرى عام 2004. درس الغرافيك والوسائط المتعدّدة في «جامعة البوليتكنيك» بالخليل، ثم انتقل لدراسة الفنون الجميلة في «جامعة القدس». شارك في العديد من المعارض الفنّية المحلّية والخارجية. وفي عام 2016 بدأ بالعمل على مشروع «تاريخ الفنّ الفلسطيني للأطفال»، وهو سلسلة من القِصَص القصيرة تتناول شخصيات أدبيّة وفنّية بارزة في تاريخ القضيّة الفلسطينية.

قراءة

«مذكّرات شرطي لبناني» لفوزي ذبيان

السيرة والرواية

> إذا كانت هذه المذكّرات سيرةَ شخصية، فإنّها لا تتقاطع فحسب مع تاريخ المجتمع والدولة، بل هي، في الوقت ذاته، تاريخ جانبي ووثيقة تاريخية

عباس بيضون

«مذكّرات شرطي لبناني» (2024) لفوزي ذبيان، الصادرة عن «دار المتوسّط»، هي بحقّ سيرة. الروائي، الذي كان فعلاً دركياً، أمضى في هذه المهنة سنوات طويلة، بحيث يمكن أن نعتبر الكتاب أكثر من سيرة شخصية. نحن أمام المهنة كلّها، وقد تصدّى لها، من داخلها، روائيٌّ محترف. إنّه أدب المهنة، نجد في الكتاب حياة خاصّة بالتأكيد، لكنّ الكتاب يُمكن أن يكون، بالدرجة نفسها، وثيقة وتاريخاً. نحن في الكتاب أمام الدركي والروائي، وإذا صحّ أنّ الاثنين واحد، لكن لهما طبيعتان. الروائي والدركي واحد هنا، إلّا أنّ للدركي خطابه ولغته، وللروائي من الجهة الأخرى خطابه ولغته. الخطابان واللغتان لا يزالان في تقاطُع وتداخُل، إلّا أنّنا، مع ذلك، نراهما متوازيَين ومتفارقَين في الوقت ذاته. الدركي، هو بالتأكيد عاميٌّ لبناني، لكن للمهنة مع ذلك ما يخصُّها، لغة وتعابير وحركات وردود ونماذج وطبائع. ليس ذلك للروائي، لكن فوزي ذبيان يُحسن هنا أن يكون الاثنين، بجدارة وامتياز. حين يكون الدركي لا ننسَ أنّه كذلك.

على طول النصّ، لا نكفّ عن قراءة «خرا» في كلّ مكان. «خرا وخرائي» يصرّ ذبيان على أن يذكر ذلك في كلّ محلّ من نصّه بمناسبة وبغير مناسبة، ويصرّ هنا على أنّ الدركي حين لا يتوقّف عن نعت الآخرين بأنهم قضبان ذكورية «ابر ماير»، هو عند ذلك الدركي بلا أي فرق. ربما هو الروائي يتدخّل في ذلك. حين يُسمّى دركياً، يصرّ كدركي، ولكن كروائي في الوقت ذاته، على أن يكون دركياً حقيقياً.

إنّه روائي، عند ذلك، يصنع من حياته رواية، وبهمّه أن تكون روايته مطابقة وحقيقية. لكنّ الروائي أيضاً له حياته، وفوزي هنا، كما في السابق، يريد أن يكون سردُه مطابقاً وحقيقياً. لذا تحفل مذكّرات الدركي باسماء الكتّاب، أدباءَ ومفكّرين، وكتبهم. إنه لا يكتب فقط فصلاً كاملاً عن لقائه بكمال الصليبي، وفصلاً كاملاً له لواحق عن روايته «الجندي شفيك» الذي يشعر بقرابة له. هو يذكر، على سبيل المثال، في فصل ليتغلغل في مجتمع وشخصيات المهنة، مجتمع وشخصيات هي من لبنان، وتلعب لبنانياً. لذا، من وراء المهنة، يتجلى المجتمع اللبناني، ويتجلّى الواقع والتاريخ والدولة. بل، ونحن نقرأ «مذكّرات شرطي لبناني»، نرى من قريب، وربما مباشرة، انهيار المجتمع والدولة اللبنانية. يحرص فوزي على أن يردّ كلّ من يذكرهم، ضبّاطاً وأنفاراً وشخصيات، إلى أديانهم ومذاهبهم. هكذا يتعرّف الفرد اللبناني، وهكذا يتقدّم إلى الدولة، وهكذا تُقدّمه الدولة. ذِكر المذاهب والأديان نوع من واقع مباشر. نوع من تقديم فجّ، لكن حقيقي، لأناس المجتمع وعلاقاتهم وأبنيتهم الاجتماعية والسياسية، ودولتهم وحكّامهم. لسنا فقط هنا، لكنّنا أيضاً عن قرب، في التاريخ اللبناني الراهن.

حين يعرض ذبيان لرستم غزالي، «الوالي السوري»، ولعشرات المصبرين في سياراتهم أمام بابه، أو الذاهبين لحضور الدكتوراه التي منحتها له الجامعة، حين نقرأ كيف جرى ردع البعثي السوري الوافد من عند قائصوه أمين عام حزب البعث في لبنان، حين يذكر اصطدامه بشيخ حزب الله في وادي الحجير، نشعر بأنّنا هكذا في مقاربة واقعية، وفجّة في واقعيتها، لتاريخ البلد وحاضره. إذا كانت مذكّرات فوزي ذبيان، في جانب منها، سيرة شخصية، فإنّ هذه السيرة لا تتقاطع فحسب مع تاريخ المجتمع والدولة، إنها، في نسخة واحدة، ترينا كيف يحمل الأفراد دمغة واقعهم وتاريخهم. يمكن لمذكّرات فوزي ذبيان لذلك، أن تكون في الوقت ذاته، تاريخاً جانبياً ووثيقة تاريخية.

(شاعر وروائي من لبنان)

> يُستخدم حرفته الأخرى ليتغلغل في مجتمع وشخصيات المهنة

عرض مسرحي في شارع الحمرا ضمن «مهرجان بيروت لفنّ الشارع»، أيلول/ سبتمبر 2009 (Getty)

فعاليات

لا تتوقفوا عن الرسم: مذكّرات مرئية للتضامن مع غزّة عنوان معرض للفنّانين **مازن كرباج** و**جنى طرابلسي**، يستضيفه «مسرح المدينة» في بيروت، ابتداءً من التاسع والعشرين من أيار/ مايو الجاري وحتى الخامس عشر من آب/ أغسطس المقبل. يوثّق الفنّانان من خلال أعمالهما المجازر التي ارتكبتها «إسرائيل» في غزّة.

فلسطين في كلّ مكان عنوان فعالية يستضيفها «متحف الملكة صوفيا» في مدريد، عند السابعة من مساء الخامس من حزيران/ يونيو المُقبل، ضمن برنامجه «لقاءات الفكر النقدي». يشارك في الفعالية الناشطون **امين حسين**، و**ناتاشا ديلون**، و**مارينا غارسيس**، و**ماسيميلانو موياناً**، وتضيء جهود الناشطين في توضيح القمع الذي يتعرّض له الشعب الفلسطيني بسبب الاحتلال الإسرائيلي.

عند السابعة والنصف من مساء بعد غد الثلاثاء، تستضيف «مكتبة تكوين»، بالتعاون مع مكتب «مقاطعة إسرائيل»، في العاصمة الكويتية، محاضرة بعنوان **حروب الفهوة: بن بلا حدود واستعمار دون تعريف**. تلقي المحاضرة الباحثة **إسراء عبد الرحيم**، وتتناول فيها اساليب استعمار البن وحروبه الاستعمارية الحديثة والخفية.

عند الثالثة من ظهر اليوم الاحد، يستضيف «معهد العالم العربي» في باريس عرض **موت الشمس**، من تاليف الكاتبتين اللبنانيّتين **كارن كيروز** و**نور حيفاوي**، وموسيقى الفنّانة اللبنانية **يمنى سابا**. بين الموسيقى والتصوير، وعلى شاشة كبيرة، يتخيّل العرض عالماً يشاهد نهاية نجمة في حوار سمعي وبصري.